نص في عنوان: (ظلي حين لا يرى حلمي)

محمد الغربي عمران

ماهر عطا كاتب شاب يبحث عن نفسه في الكتابة الأدبية, مجربا للشعر وتارة القصة القصيرة, وأخرى في النص المفتوح.
وهكذا تمضي السنون باحثا عن ذلك الكائن في داخله.كما هو لدى كل كائن بشري في بدايات حياته. إلا أن عطا يسير بخطوات وئيدة جدا.
بعد إنقطاع سنوات , أبهجتني عدة نصوص وقعت بين يدي له ..ولإيماني بقدراته أخذت أبحث في نصوصه تلك – سبع عشرة صفحة- التي وضع لها عنوان "البحر في نصف دمعة"
أخذت أقلب تلك النصوص.. دونت عدة ملاحظات أقدمها للقارئ بشكل مختصر, وهي:
المجموعة لم يخصصها الكاتب لجنس أدبي بعينه ..فبعضها قصة قصيرة, وأخرى قصيرة جدا, وقلة منها ينتمي إلى الشذرة السردية. وفي مجملها نصوص أقرب إلى اللوحات الحكائية الممزوجة بلغة شعرية بديعة, بعضها تحمل أكثر من فكرة, وهذا ليس معيبا, فإلغاء الوحدة الموضوعية لم يخل بل يحسب للكاتب في مجال التجريب. طالما والكاتب يكتب بوعي نصوصه تلك ليقدم للقارئ نصا مغايرا.. متكئا على جزالة اللغة وتراكيبها.
العناوين, سيلاحظ القارئ بأن الكاتب يقدم لنا نصوصا بصرية من خلال بعض عناوين نصوصه , وبعض تلك العناوين طويلة وذلك لم يأتِ نتيجة لعجز عن إيصال الفكرة , بل لصورة في مخيلة الكاتب أراد أن يقدمها للقارئ كنص موازٍ.
وبدايةً بالعنوان الرئيس للمجموعة " البحر في نصف دمعة" مرورا بعناوين بعض النصوص, مثل :هروب الدمعة, ملامح ناقصة, ظلي حين لا يرى حلمي, حديث الدموع, كابوس أبيض. وهناك عناوين من مفردة واحدة, مثل: أعمار, وطن, لهفة, انطفاء, توجس, نور, اشتعال, موعد, اعتراف, الق. وما يهمنا هنا تلك العناوين التي تحمل صورا شعرية , فمثلا عنوان المجموعة" البحر في نصف دمعة" يمكننا أن نتخيل ذلك الأفق من الماء وقد استوعبته دمعة أو نصف دمعة.. هنا يفضي هذا العنوان بالقارئ إلى دلالات عدة منها الألم الذي يتأبط بالدمع ..وكذلك المدى الذي يمثله البحر باتساعه ورمزيته, ويمكن المزاوجة بينهما باستحضار الكائن الثالث-الإنسان- الذي هو المحور للنص, والعلاقة بين أضلاع المثلث, البحر الدمعة الإنسان, الإنسان ذلك الكائن الذي حاول الكاتب تقديمه مستعيرا الدمع والبحر بكل معانيهما لإيصال مشاعره, وبكل ما يعني لنا هذا الكائن الخلاق .
مرورا بعناوين النصوص, من "هروب الدمعة" وما لذلك من معنى .. أن نتخيل دمعة هاربة وما دفعها للهروب من مشاعر وانفعالات وما خلف تلك المشاعر والانفعالات من أفعال بين الأحبة . إلى العنوان التالي "ملامح ناقصة"، وهنا يضع الكاتب قارئه أمام تساؤلات : أي ملامح يقصد؟ هل هي ملامح لكائن حي؟ أم لمكان ما؟ قد يعني لوجه إنسان أو وردة أو واجهة مبنى .. وقد يذهب بعيدا إلى ملامح المشاعر والأحاسيس البشرية.. وقد يمضي بعيدا. أما الناقصة فتلك المفردة تزيد الصورة الشعرية إذكاء وتفاعلاً . العنوان الثالث "ظلي حين لا يرى حلمي" وفي هذا العنوان اكتمل النص الموازي للنص اللاحق للعنوان, فيه أكثر من صورة الأولى للجملة التي كون الكاتب منها النص, الأخرى صور يمكن أن نطلق عليها صور التشظي, فمثلا أن نتخيل ظل له عيون , وأن تكون الظلال ترى, ومنها الصورة الثانية أن يكون الظل لا يرى, بمعنى أن تخيله كائن مستقل لكنه دون عيون, ثم أن نعرج على الحلم, لنتخيل ذلك الحلم الذي فلت من رؤى الظل.
نص في عنوان استطاع الكاتب أن يتميز به ويقدمه لنا بشكل رائع وقد مزج السرد بالشعر بتكثيف متقن .
وهكذا هي العناوين الأخرى: حديث الدموع, كابوس أبيض. صور تدخل خيال القارئ في عصف تخييل رائع وقد وضع الكاتب معطيات ذلك التخييل من خلال تلك العناوين الصورة.
لم تقتصر تلك الصور البديعة على العناوين, بل إن كل نص جاء في قالب من الصور المتتابعة, وسنختار نصين من نصوص النص الأول لهفة "خلع الصبح سكنته, وارتدى ضجيج الظهيرة, خدود متورمة تمسح الشارع, ينطفئ جيب أحدهم وتسير ابتسانة بمحاذاة منزله الصغير, الأطفال يفتحون نوافذ أعينهم على كيس أسود اللون لم يكن بداخله إلا أغصان القات الخضراء!"
أقصودة مكتملة أركانها, فالمفارقة كانت صارخة من خلال صورة أعين الأطفال وقد شرعوا نوافذها ليصدمهم مشهد ذلك الكيس الأسود. هنا نص عبر عن مأساة وطن اسمه اليمن يعيش أفراده على الوهم والفقر واستعمار نبتة اسمها القات تطحن حاضرهم ويومهم وغدهم.
كل جملة في هذا النص نص شعري مكتمل " خلع الصبح سكينته" ثم الجملة الثانية" أرتدي ضجيج الظهيرة" وهكذا الجملة الثالثة " خدود متورمة تمسح الشارع" إلى أخر جمل النص. نجد الكاتب ينسج لغته لتعكس ذلك الوجع وتلك المآسي التي يعيشه مجتمعنا في صور من الشارع إلى البيت في أشكال ومظاهر ومشاعر الناس إلى عيون الأطفال.
النص الثاني بعنوان (اشتعال الشوق) اشتعل شيب الشوق, ترهل جسد الغياب, حذفه العمر بالتقاعد, يمتص عقب سيجارته بنهم شديد, يبحلق فيها, يهز رأسه هزتين طويلتين وينزل بصره إلى ساعة بعمر سبع سنوات تمسك بمعصمه جيدا, أهداها ابنه قبل أن يأكله السفر, وعندما شرب الليل من الأضواء المتشردة دحرج كرسيه المتحرك نحو مكان ما ..و... التهمه الليل..!" في مجمل هذا النص يقدم لنا حالة انكسار إنسانية , التقاعد وما يعينه للفرد كموت مؤقت على طريق الأمراض والعجز والحاجة.
لكن الكاتب لم يقدم لنا موضوعه أو فكرته في قالب تقليدي.. وما سيلاحظه القارئ تلك الجمل المركبة كما لو كانت صورا مبهرة في سجادة متقنة النسج, تقودنا تلك الجمل من صورة إلى أخرى بشكل مدهش .
وهنا علينا استرداد بعض صور النص, مثل: اشتعل شيب الوقت, وما يرمي إليه الكاتب باشتعال شيب الوقت. ترهل جسد الغياب, ومفردة ترهل الجسد ثم توظيف ذلك ليظهر لنا صورة الوقت.. الخ .. تلك جمل النص.
مجموعة نصوص " البحر في نصف دمعة" تباينت أطوالها بين الصفحتين كنص بعنوان" الق" والصفحة "هروب الدمعة" ونوصو أخرى تصل إلى الخمسة أسطر.
وهناك نص لم يتجاوز السطر بعنوان كابوس أبيض "حمل وردة قانية اللون,سبقه ظله إليها, وجدها مع شاب آخر, رمى قلبه أرضا وأنصرف!"
إذا الكاتب يمتلك كما يلاحظ من تلك النصوص التي أوردناها لغة ثرية, والأهم امتلاكه توظيف مفرداتها بشكل رائع, وما تلك الصور التي تكاد أن تمثل كل منها نصوصا مستقلة.
الكاتب لديه ملكة شعرية نلاحظها في نصوصها المختلفة. مقدما لنا نص الق ق ج كما هو في النص الأخير من هذه المقاربة, كما يقدم لنا النص الأقصودة وأقصد بذلك تلك النصوص التي مزج فيها الكاتب الحكي بلغة الشعر وتكثيفه, كما قدم لنا القصة القصيرة في عدة نصوص.

حالات(1)

عبدالله كمال

بُعْدٌ ما!

قطرات الماء التي لم تجف بعد على جسدكِ،
بلوراتٌ سحرية..
أرى من خلالِها العالمَ
كما لو كان حبة كرزٍ
في متناولِ يدي..
لذا أجدني مليئاً بالإيمانِ
أنَّ البعدَ الرابعَ،
شيءٌ ما،
في زاويةٍ ما من هذا الجسدْ .

امتلاء

أفسحُ لكِ قلباً
يَتَّسعُ لآلهةٍ متعددة ،
فيمتلئُ بكِ وحدكْ!

اعتياد

كالعادة ..
أفتح قلبي للقصيدة ،
فتدخلين أنتِ!!!
كالعادة..
أقف على ضفة الحنين،
فتمرين أنتِ!!!
كالعادة..
أنذر نفسي للبكاء،
فتتساقط قبلاتكِ عليَّ كندف الثلج !!!
يا اللـــــــه..
كم أنا مترعٌ بك!

كفر

استَلِّي مِنْ شفتيكِ قُبْلَةً،
وارمِيْ بِهَا قلباً
كافراً بِنيوتن،
وبقانونِ الجاذبيةِ الأرضيةْ!
لَقَد اختارَ
أنْ يظلَّ مُعَلَّقا على شَجَرةٍ
غَرَسْتِها لهُ مُنْذُ لقائنا الأولْ ..

مـهـمـة الـــفـــن..!

المقالح عبد الكريم
E-mailialmaqah@gmail.com

كان ظهور التصوير الفوتوغرافي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين عاملاً هاماً في حدوث أكبر انقلاب في تاريخ التشكيل، إذ وخلال فترة محدودة ظهرت وتوالدت وانتشرت الكثير من المذاهب الفنية التجريدية/ التكعيبية/ السيريالية... الخ، وبالدرجة الأولى تبدى للفنانين حينها عقم ما يقومون به، حيث أظهرت الكاميرا قدرات سحرية لا تستطيع الريشة مجاراتها، إذ أن مميزات التصوير الفوتوغرافي تفوق الرسم من حيث القدرة على إنجاز الكم المطلوب من الصور في أقل وقت وبأدنى مجهود، هذا طبعاً إلى جوار الدقة البالغة الواقعية للقطات المنجزة عن أي موضوع كان، مع عدم إغفالنا هنا الفارق بين المصور والرسام، فالكاميرا مجرد آلة، مما يعني أن عملها ميكانيكي، أي لا وجود هنا لعواطف الرسام التي حتماً لابد أن تتدخل في أسلوب المعالجة الفنية تبعاً لنوع آرائه أو ردود فعله فكرياً ونفسياً من الموضوع.
عند هذا المفترق الحرج أدرك غالبية فناني تلك المرحلة أنه لم يعد ثمة جدوى من الاستمرار على ذات المنوال، إذ لم تعد هناك أية قيمة فنية/جمالية لتصوير مشهد بذات حرفيته على أرض الواقع، لقد أصبحت الكاميرا تفعل ذلك في بساطة وسرعة متناهيتين، وبالعودة إلى المعرض نجد أن سمة الواقعية الحرفية طاغية في جميع الأعمال، إذ أن النقل الفوتوغرافي المطابق للواقعي هو أحد خصائص مرحلة مبكرة وهامة في بداية حياة أي فنان، ولعل من البديهي أن يكون التساؤل هنا كالتالي : وماذا بعد؟! ماذا على الفنان القيام به خلال المرحلة القادمة؟!
تخبرنا القاعدة الأرسطوطاليسية أن «مهمة الفن ليس تجسيد الأشكال الخارجية للأشياء، بل تصوير مضمونها الداخلي»، وهكذا فإن المتلقي/المشاهد عندما يقف أمام عمل بصري فني يسأل ذائقته : لماذا صور الفنان هذه التفاصيل؟! ماذا شده في هذا المشهد؟!
إن اختيار الموضوع/الفكرة ليس الأهم، إذ يقع على عاتق الفنان عبء اختيار وتقرير أسلوب المعالجة، فمجرد تصوير مشهد لأثر كقصر سيئون أو غابة خضراء أو حرفي منهمك في عمله لا يدل على أي رؤية فكرية للفنانة، كما أنه بهذا التصوير العادي البسيط لا يقنعنا بجمالية الموضوع، وهذا ما يعني وقوفنا أمامه - العمل الفني - بلا مبالاة بعد أن عجزنا عن العثور على كلمة السر/الخيط السحري الذي جذب الفنان لهذا الموضوع، فالنتيجة النهائية هي إدراك المتلقي - أياً كانت ثقافته نوعاً وكماً - أن هذا المجسد أمامه هو كل ما رآه الفنان، مثلاً أطفال يلعبون في زقاق، فإذا كان هذا فعلاً هو ما رآه الفنان، فرؤيته إذن لا تختلف عن رؤية أي إنسان آخر، وبهذا فهو لا يتفوق في شيء، اللهم إلاّ في قدرته على التصوير لإلمامه بقواعد التصوير.

إن الفن - أياً كان جنسه الإبداعي - عبارة عن إعادة تفسير للواقع المعاش لا مجرد نقله إلى لوحة ساكنة، وذلك عن طريق طرحه المضامين الجديدة والرؤية المغايرة للأشياء حسب فلسفة الفنان نفسه، التي يتوقف عليها مدى تطور وعيه الفني بتجربته ومدى قدرته على تجاوز نفسه وسواه بفعالية واستمرار، لأنه «لا جديد في الفن سوى الموهبة»/تشيكوف، وهو ما يعني معاملتها كأية نبتة خضراء من حيث تعهدها سقياً ورعايةً، إذ أن الموهبة تذبل، أو في أفضل الأحوال تراوح مكانها في ركودها، تماماً كما في «محلك سر» إنها حركة، لكنها لا توصلك إلى هدف، لأنها عبثية غير خاضعة لاستراتيجية خاصة واضحة، وهو ما يعني أن على الفنان العمل على تطوير أدواته وتجريب أساليب مختلفة وخوض غمار التجريب مع تكثيف عملية تطوير وعيه الفكري للارتقاء بالرؤى الفنية، مما يضمن له امتلاك الصوت الخاص به الذي يميزه عن سواه

"نهاية الحداثة"

صدر حديثاً عن المنظمة العربية للترجمة ببيروت كتاب: "نهاية الحداثة" تأليف جانّي فاتّيمو، ترجمة الدكتور نجم بوفاضل.
نهاية الحداثة تعني، بصورة عامة، بداية حقبة جديدة، اصطلح على تسميتها ما بعد الحداثة. غير أنّ الانتقال من حقبة "فكرية" إلى حقبة أخرى يتطلب تحديد أسس الحقبة التي انتهت لتبيان ما هو الذي انتهى، وتحديد أركان الحقبة التي نشأت لكشف الآتي وإدراكه. وبهذا المعنى، قد يكون هذا التحول تقدماً أو تطوراً أو تحسيناً و تجديداً أو تجاوزاً أو حتى إلغاءً. وفي هذا السياق يندرج كتاب جانّي فاتّيمو نهاية الحداثة ليصف النوع الذي يحكم هذا التحول، ويرسم معالم العصر "الجديد".
• جانّي فاتّيمو: فيلسوف إيطالي وبرلماني أوروبي، ولد في تورينو عام 1936، درس الفلسفة على يد لويجي باريزون، ومن ثم في هايدلبرغ بإشراف غادامر. درّس فلسفة الجمال والفلسفة النظرية في جامعة تورينو وفي جامعات عديدة، وخصوصاً في الولايات المتحدة الأميركية. عُيّن مديراً لمجلة الجماليات، وكتب في الصحافة.
يقع الكتاب في 223 صفحة.

كـلـمـات مـن الـشـرق

إصدارات

الان راي، مدير سلسلة من القواميس الفرنسية على مدى العقود الخمسة الأخيرة ، هو أحد عشّاق اللغة، الفرنسية خاصّة واللغة بمفاهيمها ووظائفها الجامعة عموما، اذ كان قد وهبها جهده وركّز عليها أبحاثه من دون كلل أو ملل. وحمل كتابه الصادر في نهاية عام 2013 العنوان التالي «رحلة الكلمات» الذي كرّسه لدراسة الكلمات الفرنسية ذات الأصول القادمة من الشرق العربي ومن بلاد فارس، كما يدل العنوان الفرعي.
كان قد صمم الغلاف الأوّل للكتاب والتوليفات التي يقدمها عبر الخط العربي، الخطاط التونسي لسعد المطوي، صاحب العديد من الكتب حول مجال اختصاصه، والذي كانت أعماله موضوع الكثير من المعارض في فرنسا وعدد من بلدان العالم. وعلى الخط العربي الذي دوّنه الخطاط التونسي، علّق الان راي قائلا، ان الخط العربي مكان «يلتقي فيه الجمال مع المتعة».
يحدد مؤلف الكتاب مهمة عمله في تقصّي رحلة الكلمات القادمة من الشرق نحو الغرب، ممثلا باللغة الفرنسية بالجملة التالية :«مسارات الكلمات المرتحلة من الشرق وخطوط سيرها غير المرئية في المجال المتجدد باستمرار للغة الفرنسية. تلك المسارات التي تبدو كأنها منثورة في المرآة السحرية للفن في لقاء حميم بين الشرق والغرب».
وهذا الكتاب، بالإضافة إلى بعده اللغوي الواضح، هو أيضا، بحث في لقاء الثقافات وآليات تفاعلها المتبادل عبر الكلمات، التي تنتقل من ثقافة إلى أخرى في مختلف الميادين. ويلفت مؤلفه الى أن مثل الأمر لا يقتصر على لغة محددة، ولكنها سمة مشتركة تلتقي فيها جميع اللغات.
ويوضح ذلك بداية من أرقام الحساب، مثل «الصفر»، وحتى مرورا بالعلوم والطب فالموسيقى« آلة الغيتار ـ Guitare » باللغة الفرنسية، المشتقّة من القيثارة«. كذلك العود الذي يحظى اسمه باللفظ نفسه تقريبا في الفرنسية. وكذا الفنون المتبقية، إذ تحوز، مثلا، بعض الألوان مثل »اللازوردي ـ azur« والقرمزي- kirmiz» باللفظ عينه. إضافة الى الأعمال التجارية حيث الأمثلة عديدة، مثل تبنّي كلمة «مخزن ـ magazin» و«تعرفة ـ tariff»، للدلالة على سعر السلع.

يبين راي أن البوابتين الرئيسيتين لولوج الكلمات العربية وغيرها، القادمة من الشرق، كانتا في غالبية الأحيان: إيطاليا وأسبانيا. وكانت تلك البوابتان مدخلا ايضا للكثير من السلع والمنتوجات التي انتقلت معها أسماؤها إلى العديد من اللغات الأوروبية، وفي مقدمتها الفرنسية. إذ كانت فرنسا من أكثر بلدان القارّة ازدهارا. وهكذا دخلت ألفاظ »الإكسير ـ elexir« و»العنبر - amber « و»القهوة ـ café «، وكثير غيرها، الى اللغة الفرنسية .
وتلك »الرحلة للكلمات والأفكار، حملت معها بعض معالم الحضارات القادمة من الشرق: العربية والفارسية والتركية، إلى الغرب الأوروبي، وعبر دخولها في قواميسه اللغوية زادت من ثراء فكرنا ووسّعت من آفاق مخيلتنا«، كما يكتب الان راي. ويشدد على أن الحضارات الشرقية موجودة وحاضرة سرّا في العديد من طرق التعبير باللغات الفرنسية والاسبانية والإيطالية والإنجليزية، متجاوزة جميع الحدود.
ولا يتردد المؤلف في القول، ان الشرق قدّم للغة الفرنسية وغيرها من اللغات الأوروبية، كنزا من الكلمات العربية التي زادت من القدرات التعبيرية للغات المعنية، كي تسمّي أشياء العالم، من الأرض إلى الفضاء.. ومن العلوم إلى المعتقدات.. ومن مظاهر الطبيعة إلى أشياء الحياة اليومية..
ومن الحرب إلى السلام . وهكذا مثلا، يشير المؤلف إلى الأصل العربي لكلمة »هول ـ Houle «، التي تعني هيجان الأمواج في المحيط، ويشرح أن أصلها العربي هو » هول، هول ما يحدث«، بمعنى التهديد بخطر محدق.

المؤلف في سطور
تولّى الان راي، مؤلف هذا الكتاب، إدارة تحرير »قواميس روبير« الفرنسية الشهيرة ـ إلى جانب قواميس لاروس ـ ،منذ حوالي 50 سنة. وهو أحد المساهمين الرئيسيين في تحرير قاموس »روبير الصغير ـ Petit Robert « والقاموس التاريخي للغة الفرنسية والقاموس الثقافي الكبير .
الكتاب: رحلة الكلمات - تأليف: الان راي - الناشر: غي تريدانييل- باريس- 2013 - الصفحات: 448 صفحة - القطع: المتوسط